يومئذ شهد العالم ميلاد أول تنظيم سياسي وعسكري في دولة الهدى البازغة، التي ما لبث ناموسها الربّاني أن سرح على منبسط الأرض وفي دخائل النفوس سروح النور وهو يكسح الظلام. وطفر الكفاح النبوي أوسع طفراته نحو مرحلته الإيجابية التي طال بها المخاض! أشفت[747] الأمور على حافّة الحسم والتقرير. جاء التغيير. ففي خلال الأشهر القلائل التاليات دبّت حركة غير عادية في جماعة المسلمين كدبيبها عند خروجهم إلى أرض الأحباش. إنّ قريشاً لتحدس وتتوجّس، وتحسّ كأنّما القوم يتهامسون، ثم تنظرهم خلسةً، فتراهم يقدمون ويتراجعون، ثم تجدهم يوماً يوماً يتناقصون عدداً في بلدتهم الحرام. فهل هي انطواءة مقهور مغلوب، أم أنّها تشرّع للهروب، أم أختفاء عن أعينها وأيديها موقوت; جماماً[748] من البطش والعذاب؟ بل هجرةٌ في ا. وما الهجرة بفرار، إن هي إلاّ أذان بالجهاد. فدع قريشاً وما هي فيه! ذرها وما تصوّره لها الأوهام! فلقد حقّ على «يثرب» اليوم أن تنادي المؤمنين: هلمّوا إليّ، فلبّوا ... وأخذوا يدخلونها آمنين، واحداً واحداً، وزمرةً زمرةً، حيث يلقون الصفاء والمنعة والأرض الطيّبة التي كتب ا أن يتحرّر أهلها ـ إلاّ أقلّهم ـ من خبائث الشيطان.